الاستنتاجات الرئيسية

القدس

وثيقة توجيهية 1

الاستنتاجات الرئيسية:

ما الأسباب الداعية إلى إجراء الأبحاث بشأن المدن التي تشهد نزاعات عرقية - قومية؟

إذا أراد المرء فهم النزاعات العرقية - القومية والدينية على نحو أفضل، فإن التركيز على وضع البيئة الحضرية هو أمر لا غنى عنه. إذ تعتبر المدن مواقع مهمة لتأكيد وجود سيادة الدولة أو انعدامها، غير أن الأمر يختلف لحدٍ ما بالنسبة للأمم التي تحتضن تلك المدن. فالمدن والدول تتشاركان معاً في تحديد الحياة الحضرية، ولكنّ التركيز والتوازن بين الاثنتين يختلف بطرق عديدة. وفي هذا الشأن، حدد بحث "النزاع في المدن" مجموعة من السياقات الجغرافية السياسية في أوروبا والشرق الأوسط، التي كانت لها آثار مباشرة على دراسة النزاعات الحضرية. كما ساهم البحث، الذي تم إجراؤه في عدد من المدن المتنازع عليها، في إفساح المجال أمام الاستفادة من بعض المواضيع المشتركة، وإتاحة الفرصة أيضاً لمقارنة الاختلافات الرئيسية بين النزاعات والأوضاع الحضرية المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن النزاعات العرقية - القومية في المدن تميل إلى عدم وجود بدايات أو نهايات واضحة لها، ولذلك أصبح العيش مع هذه النزاعات على مدى فترات طويلة واقعاً حياتياً لدى الكثير من الناس. من المهم ألا يقتصر فهمنا فقط على الصراعات فحسب، بل أن يمتد أيضاً إلى المدن نفسها؛ فلن ينجح الحل السياسي دون رؤية حضرية طويلة الأجل. إن البحث في الصراع داخل المدن يكشف عن الكثير فيما يتعلق بكيفية تشكيل الصراعات للمدن، وبالتالي، تأثرها بهذه المدن.

ما الصلة التي تربط بين المدن المقسّمة والدول؟

تحظى المدن بأهمية كبرى بوصفها تعبيراً رمزياً عن الحالة المادية والأيديولوجية للدول، ومن ثم تمثل ركائز أساسية للنزاع العرقي - القومي والديني. وتعمل الأهمية الاستراتيجية للأُطر الجغرافية السياسية المحيطة بالمدن، على تشكيل كثافة وحجم النزاع الحضري العرقي - القومي وأي محاولات لحل هذا النزاع.

وفي نهاية المطاف، ينبغي صياغة ردود الأفعال حيال النزاع على هيئة عمليات تمتد على المستويات الحضرية والقومية والدولية. فإذا كان ثمة مكان في الدولة يسمح باحتواء التنوع على نحو فعال، فلا شك أن هذا المكان هو المدينة، وهو ما يجعل منها المكان الأمثل للبحث عن وسائل لفهم النزاع؛ ويجب استغلال المؤسسات الحضرية بشكل إيجابي لتحقيق هذه الغاية. وقد تخلق كثافة المدن وبنيتها ساحة لنزاع وشيك وملموس، كما قد يكون هذا النزاع درامياً في بعض الأحيان أو قد يكون متكرراً بدرجة كبيرة للغاية إذ يعكس واقع الحياة اليومية. وقد يتعرض النظام الحضري - القائم في وسط المدينة وأطرافها، والأماكن العامة والخاصة، والأماكن متعددة الاستخدامات والأنشطة والأشخاص - إلى الانقسام جرّاء النزاع. وفي الوقت ذاته، تساعد الهياكل والإجراءات الحضرية الراسخة في تعزيز موقف المدينة في مواجهة أسوأ الانتهاكات الناجمة عن النزاع، أو قد تساعد في إعادة الحيوية إليها. ومن ثم يُعد تطبيق منهج متوازن على كافة الأصعدة المحلية والبلدية والإقليمية والقومية والدولية أمراً بالغ الأهمية.

يُعد النزاع المستمر الذي يشهد حلقات من العنف المتكرر وغير المنظم في كثيرٍ من الأحيان، عاملاً مميزاً لعدد من المدن التي تشهد انقسامات عرقية - قومية. ويؤثر ذلك في حياة الناس اليومية بأشكال وطرق عديدة، بما في ذلك التدابير الأمنية المشددة أو المفرطة أو المتحيزة، والبنى التحتية للنزاع المادي التي تسبب انقسامات مكانية مثيرة للمشكلات. في كثير من الأحيان تحد مشاعر الخوف وانعدام الثقة والكراهية من قدرة الأشخاص على العيش بشكل متوافق مع الآخرين المختلفين عنهم. وهذه العوامل هي التي تحدث الفارق في مدى الاختلاط بين الأشخاص.

وبالرغم من أننا كثيراً ما نستخدم عبارة "المدن المقسّمة"، إلا أن الأحوال الحضرية عادة ما تكون أكثر تعقيداً من مجرد انقسامات ثنائية الأطراف، إذ قد ينقسم السكان أنفسهم إلى جماعات وفصائل صغيرة، في حين قد تؤثر الأحداث السابقة والسياقات المحلية تأثيراً كبيراً على النزاعات وتنتج أشكالاً مختلفة من النزاع. ويظهر ذلك بصورة منتظمة في الانقسامات الفيزيائية التي تختلف باختلاف كل حالة حضرية. وفي بعض الحالات، قد تتعرض المدن للانقسام إلى جيوب ومعاقل ونطاقات وأحياء مسوّرة، ومناطق عرقية أو دينية أو لغوية. تُعد نيقوسيا خير مثال على

المدن المقسّمة إلى نصفين، غير أنه عندما انقسمت ألمانيا إلى نصفين، تم عزل برلين الغربية حتى أصبحت على أرض الواقع كالجزيرة النائية، فيما يزداد انقسام مدينة القدس جرّاء جدار الفصل المتغير الذي يضم المستوطنات الإسرائيلية ويستبعد الفلسطينيين، أما مدينة بلفاست فهي محددة بالجُدران، المعروفة باسم "خطوط السلام"، التي تفصل التجمعات السكانية، غالباً في أحياء الطبقات العاملة. من جهة أخرى، تشهد مدينة كركوك أوضاعاً متقلبة، حيث يزداد تحديد الانقسامات العرقية وفق "مدارس اللغة الأم" التي تقسّم سكان المدينة، وقد لا تكون مناظرة للأحياء التقليدية بالمدينة. وفي بروكسل، حيث يتم التأكيد أحياناً على أن الاختلافات العرقية-اللغوية "ليس لها خارطة محددة"، يظهر نظام معقد من الحقوق والالتزامات القانونية بين المنطقة الحضرية وضواحيها في فلاندرز.

لمَ تصبح الحدود أكثر حدّة عندما تكون المدن مقسّمة؟

تقع المدن بطبيعتها في أماكن تتجمع فيها فئات مختلفة من الناس. ومن السهل نسبياً تقسيم أي مدينة، وفي حالات العنف المفرط والوفيات، قد يبدو ذلك هو الحل الأمثل. غير أن الحلول المؤقتة، التي تتضمن على سبيل المثال استخدام الجدران والمناطق العازلة، غالباً ما تتحول إلى أوضاع دائمة، ويصبح من العسير جمع شمل المدينة مجدداً عقب تقسيمها. ويُعزى ذلك جزئياً إلى حقيقة أنه عقب وضع الحدود الداخلية في المدينة، يضطرب النظام الحضري الأساسي الذي يشمل أسلوب امتزاج الأشخاص وبناء المدن. وفي النهاية، قد تؤدي إدارة النزاع، التي تشمل فصل السكان عن بعضهم، إلى منع التوصل إلى حل للنزاع أو تقويض ذلك الحل. وقد تتعرض التجربة الفعلية للحياة الحضرية إلى التمزق، ومن ثم يتعذر على المدن المقسّمة أن تزدهر على المدى البعيد. ويؤكد بحث "النزاع في المدن" على قيمة السياسات والممارسات التي تُثني الدول عن عمليات العزل والاستبعاد والتقسيم الجبرية التي تضر بوضع جماعة من الناس لحساب جماعة أخرى، حسب العرق أو الدين.

كيف تتداخل الجوانب السياسية للنزاع مع الحياة اليومية الحضرية؟

يوضح بحث "النزاع في المدن" أن الأشخاص يميلون إلى التفاعل بدرجة أكبر مما يعتقدون. وقد يعني تشارك المكان ببساطة أن الأشخاص من كلا جانبي الانقسام العرقي - القومي أو الديني مضطرون إلى رؤية بعضهم بعضاً، ومراعاة أعراف بعضهم بعضاً، وسماع لغات بعضهم أثناء ممارستهم لحياتهم اليومية. ورغم أن هذا الاتصال قد يبدو طفيفاً، إلا أنه سرعان ما يُحدث شقوقاً في التصورات المُسبقة، في حين أن غيابه قد يعني تقليل احتمال تحسّن العلاقات في المستقبل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تجارب وذاكرة المكان ذاتها تخلق شكلاً من أشكال الأرضية المشتركة، حتى وإن كانت بسيطة أو بلا تفاعل اجتماعي مباشر.

قد يعتمد الاندماج في المدن المتنازع عليها على وجود أسباب دنيوية لدى الأفراد تدعوهم للتعايش سوياً. وتمثل سهولة الوصول إلى الخدمات والمرافق الأساسية اعتباراً مهماً لتحقيق مفهوم المدينة الفعالة، وقد يكون الأمر محبطاً عندما تصبح السمات "المعتادة" للحياة الحضرية كالمؤسسات التعليمية والمناهج الدراسية ومشروعات التطوير والمؤسسات الدينية وتقديم الخدمات الاجتماعية، معزولة أو يصعب الوصول إليها.

وقد تحظى أنظمة التخطيط الحضري بأهمية بالغة في هذا السياق، ويُعد الحفاظ على سهولة التنقل أحد العوامل الأساسية للتغلب على التفكك والانقسام. ويمكن أن تساعد المشاركة المحلية في قرارات التخطيط في منح الناس نصيباً من المشاركة في تجديد مدنهم ودوراً في التغلب على نزاعاتهم. وقد تتلاعب الأنظمة السياسية المتحيزة بالمدارس والأنظمة التعليمية، بما في ذلك أماكن المدارس، وتوفير الموارد، والمناهج الدراسية. من المهم أن يدرس بعناية واضعو السياسات الدولية الشراكات التي يبرمونها، ومعايير التمويل، وأماكن توجيه الدعم التعليمي.

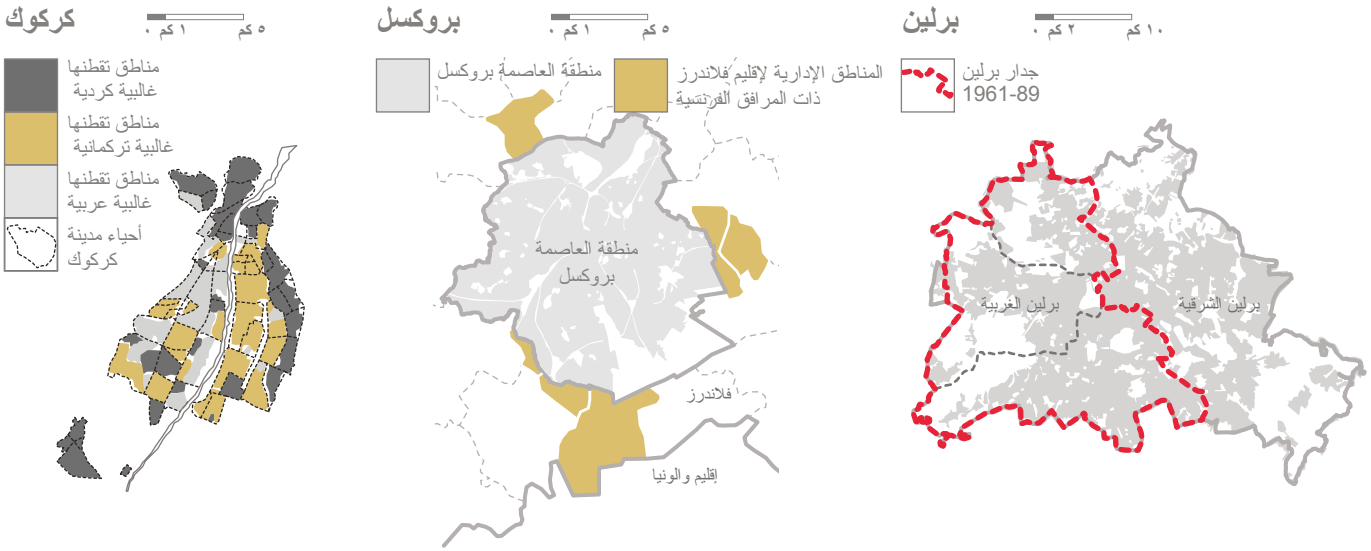

وقد تؤثر النزاعات الأوسع نطاقاً أيضاً على الممارسات في المناطق السكنية. وتظهر "الحدود الحضرية" عندما تضطر الفئات المدنية إلى مواجهة بعضها البعض، وتُستخدم المناطق والبنى الحضرية عن قصد في دعم هذه المواجهات العدائية.

ما الأدوار التي تلعبها الأطراف الخارجية في المدن المقسّمة؟

قد تتمكن الجهود الدولية المقترنة بالمشاركة المحلية من توجيه الأموال وتقويض الخطط محدودة الرؤية المتحيزة سياسياً. وربما يحظى دور المنظمات غير الحكومية في المراكز الحضرية المتنازع عليها، وبخاصة المدن المحتلة، بأهمية خاصة. في نيقوسيا، أتاح تعاون السلطات أو المجموعات المحلية مع المنظمات الدولية وجهات التمويل، مع التجنّب الواعي للسلطات الحكومية المتحيزة، الفرصة للتوصل إلى منهج تجديد أكثر مراعاة للاحتياجات المحلية.

يمكن أن تمثل الجماعات الدينية أيضاً أطرافاً فاعلة في المدن المقسّمة. ففي القدس، سعت الحركات الإسلامية إلى استعادة المسجد الأقصى بوصفه قبلة تعليمية واجتماعية، وإلى إحياء المدينة القديمة من خلال الدين والتجارة، كمركز سياسي فلسطيني. ولجماعات الشتات أيضاً دور في الحياة السياسية والاقتصادية في المدن المتنازع عليها، من خلال التمويل والاستثمار، والسياحة، وزيادة أسعار العقارات، وتشكيل جماعات الضغط السياسية، ودعم الاحتفالات الثقافية والأماكن التراثية. وبتمويل من اليهود الأمريكيين، يشارك المستوطنون الإسرائيليون أصحاب الدوافع الأيديولوجية في القدس في تطوير المواقع السياحية ذات الطابع الديني مثل مدينة داود، التي تهدف إلى ترسيخ أساطير حديثة مرتبطة بالمواقع الدينية "المنشأة"/"المكتشفة" مؤخراً.

قد تصبح الدول الضعيفة عملاء للدول الأقوى المجاورة لها. وغالباً ما تُدار المعارك عن طريق جماعات صدامية في الشوارع المقسّمة إلى مناطق، غير أن المنافسة تحدث على مستوى آخر في إعادة تطوير المدينة. تدعم دول عديدة الجماعات المتناحرة في كل من بيروت وطرابلس في لبنان، ويصبح المشهد الحضري بالغ الانقسام عند وجود سلطة حكومية ضعيفة بالإضافة إلى إقطاعيات حضرية مسلحة وشؤون سياسية حضرية غير مستقرة.

كيف يمكن للمدن أن تلعب دوراً في الحد من النزاع؟

يعد التكهن بمصير المدن التي تعاني من مستويات متطرفة من النزاع العرقي - القومي معقداً. وفي الغالب، فإن الظروف التي تجعل من هذه المدن ضعيفة، هي التي تساعد أيضاً في تقويتها. وتعد المدن مستهدفة من القوى الداخلية والخارجية على حدٍ سواء، كما تؤدي كثافة سكانها ومستوى تعقيد أنظمتها إلى سهولة الإضرار بها، ونحن نرى ذلك واقعاً ملموساً ومتكرراً بصفة منتظمة. غير أن هذه السمات تحديداً هي التي تنتج تجربة حضرية ثرية ومتنوعة، تعزز أساليب التعامل مع التحديات. وتمثل هاتان السِمتان المتباينتان، الهشاشة والقوة، جزءاً لا يتجزأ من الوضع والكيان الحضري، بوصفهما من أهم العوامل اللازمة لتسوية النزاعات.

قد تكون عبارة "ما بعد النزاع" مبهمة بل ومضللة أحياناً، لمّا كانت تعد بالتوصل إلى "حل سريع" ونهاية واضحة للنزاع ومدينة سريعة التحول. وفي معظم الحالات، يكون الضرر الذي يلحق بالمدن على مدار أعوام عديدة من النزاع الحضري، على الصعيد المادي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، هائلاً. ولن يتمكن الحل المتفاوض عليه والمقبول لدى جميع الأطراف من أن يصلح على الفور ضعف الترابط الذي تعاني منه المدينة للسماح للسلام الجديد بالتحول إلى واقع ملموس. وبدلاً من التركيز فقط على إدارة النزاع أو تسويته، قد نفكر في العوامل التي يمكن أن تصل بنا إلى مدينة قادرة على البقاء، إن لم نستطع الوصول إلى "المدينة الجيدة".

ويمكن القول بأن طول أمد النزاعات الحضرية العرقية - القومية

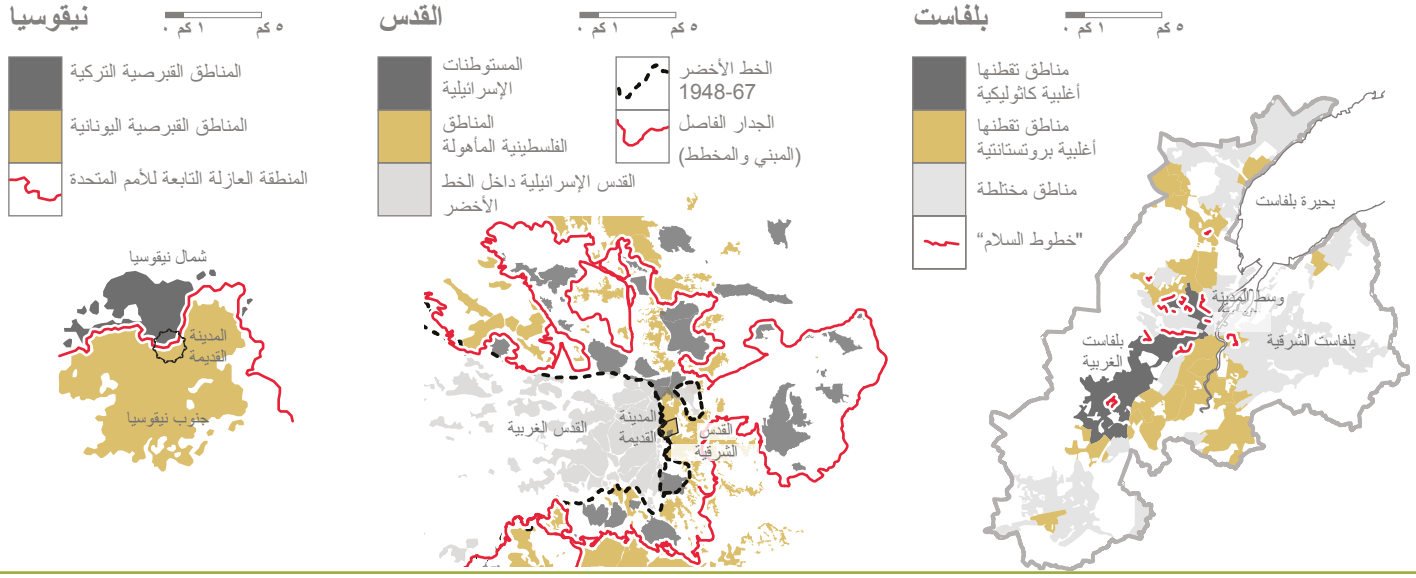

هو أمرٌ واقع. وتبعث تداعياته على التشاؤم والتفاؤل على حدٍ سواء؛ أما مبعث التشاؤم فهو ندرة التوصل إلى حلول يسيرة عن طريق معاهدة سلام أو حل متفق عليه، وأما مبعث التفاؤل فهو أن فترات العنف عادةً ما تكون متقطعة وينبغي التعامل معها على هذا الأساس.

ولا يتحتم بالضرورة إلغاء أي اتفاقيات مبرمة بسبب نشوب أعمال عدائية بين الحين والآخر. فالعنف المستمر والمفرط الذي يظهر في الشوارع يكون في العادة منظماً بقوى عليا. ومع هذا تتسم الممارسات الحضرية اليومية بقدر ملحوظ من المرونة. وفي حين يظل التوصل إلى حل هو الهدف الأسمى، فإنه من الأهمية النظر إليه على المدى البعيد، مع التأكيد على أهمية السياسات والممارسات التي ليس فقط تراعي متطلبات المدينة الفعالة، بل تلك التي تتيح الاستمتاع بتجربة الحياة الحضرية.

قراءات أخرى

Anderson, J. (2008) From Empires to Ethno-National Conflicts: A framework for Studying 'Divided Cities' in 'Contested States' Part 1. *Conflict in Cities Working Papers Series*, 1. www.conflictinicities.org/workingpapers

Anderson, J. (2010) Democracy, Territoriality and Ethno-National Conflict: A Framework for Studying Ethno-Nationally Divided Cities Part 2. *Conflict in Cities Working Papers Series*, 18. www.conflictinicities.org/workingpapers

Anderson, J. (2012) Borders in the New Imperialism. In T. Wilson and H. Donnan (eds) *A Companion to Border Studies*. Malden MA: Wiley-Blackwell.

Anderson, J. (2013) Imperial Ethnocracy and Demography: Foundations of Ethno-National Conflict in Belfast and Jerusalem. In W. Pullan and B. Baillie (eds) *Locating Urban Conflicts: Ethnicity, Nationalism, and the Everyday*. London: Palgrave MacMillan.

Anderson, J. (2016) Ethnocracy: Exploring and Extending the Concept *Cosmopolitan Civil Societies Journal*, 8(3), pp.1-29.

Anderson, J. (2019) Religious and Ethno-National Conflict in Divided Cities: How do cities shape conflicts? in M. Dumper (ed.) *Contested Holy Cities: The Urban Dimension of Religious Conflict*, London, Routledge.

Dumper, M. *Jerusalem Unbound. Geography, history and the future of the holy city*. (2014) New York: Columbia University Press.

Dumper, M. (2013) *Israel, Palestine and the future of Jerusalem*. New York: Columbia University Press.

Dumper, M. and Pullan, W. (2010) Jerusalem: The Cost of Failure. *Chatham House Briefing Papers*. London: Chatham House. www.chathamhouse.org.uk

O'Dowd, L. (2012) Contested states, frontiers and cities. In T. Wilson and H. Donnan (eds) *Companion to Border Studies*. Oxford: Blackwell.

Pullan, W. (2011) Frontier urbanism: The periphery at the centre of contested cities. *The Journal of Architecture*, 16(1), pp.15-35.

Pullan, W. (2013) Spatial Discontinuities: Conflict Infrastructures in Contested Cities. In W. Pullan and B. Baillie (eds) *Locating Urban Conflicts: Ethnicity, Nationalism, and the Everyday*. London: Palgrave MacMillan.

Pullan, W. and Baillie, B. (eds) (2013) *Locating Urban Conflicts: Ethnicity, Nationalism, and the Everyday*. London: Palgrave MacMillan.

Pullan, W., Sternberg, M., Larkin, C., Dumper, M. and Kyriacou, L. (2013) *The Struggle for Jerusalem's Holy Places*. Routledge.

Pullan, W. (2015) *Agon* in urban conflict: some possibilities', in Sternberg M. and Steiner, H., (eds) *Phenomenologies of the City. Studies in the History and Philosophy of Architecture*. Aldershot: Ashgate, pp.213-24.

يستعرض بحث "النزاع في المدن والدول المتنازع عليها" الكيفية التي تشكلت بها المدن في أوروبا والشرق الأوسط نتيجة للنزاعات العرقية والدينية والقومية، مع الإشارة بشكل خاص إلى العمارة والمناطق الحضرية كإطار للأنشطة والأحداث اليومية. ويُعنى البحث بقدرة المدن على امتصاص النزاع ومقاومته وربما لعب دور فعال في إحداث تحول جذري به. علماً بأن أماكن البحث الرئيسية هي مدينتا بلفاست والقدس، بالإضافة إلى استبيان تكميلي للمدن الأخرى المقسّمة مثل برلين وبيروت وبروكسل وكركوك وموستار ونيقوسيا وطرابلس (لبنان) وفوكوفار. وتتولى إدارة هذا المشروع متعدد التخصصات ثلاث جامعات بريطانية هي جامعة كامبريدج وإكستر وكوينز بلفاست، بالتعاون مع شبكة دولية من الشركاء. كما يتم تمويل البحث عن طريق برنامج المنح الكبرى الصادر عن مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية للمملكة المتحدة

(RES-060-25-0015)

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لصالح النزاع في المدن، نوفمبر 2012، تم تحديثها من قبل مركز بحوث النزاعات الحضرية، 2019. مع جزيل الشكر لشركة اوف اروب اند بارتنرز انترناشيونال لتد لندن لما قدمته من دعم قامت بأعمال الترجمة شركة لانجسبير.

www.urbanconflicts.arct.cam.ac.uk

تُقدم هذه المادة مجاناً للاستخدام الشخصي وغير التجاري، شريطة الإشارة إلى المصدر. كما يتعيّن الحصول على تصريح كتابي مسبق من مسؤولي "النزاع في المدن"، بشأن الاستخدامات التجارية أو أي استخدام آخر. ولا يجوز بأي حال من الأحوال تعديل هذه المادة العلمية أو بيعها أو تأجيرها.

المحققون
دكتورة ويندي بولان، كامبريدج
بروفسور جيمس أندرسون، كوينز بلفاست
بروفسور ميك دمبر، إكستر
بروفسور ليام أودود، كوينز بلفاست

الشركاء
دكتورة كاتي هايورد، كوينز بلفاست
دكتور كريج لاركن، كلية كينجز لندن
بروفسورة ماديلين ليونارد، كوينز بلفاست
دكتور رامي نصر الله، مركز التعاون والسلام الدولي، القدس
دكتور كارل أوكونور، ليمريك
دكتورة ليزا سميث، كوينز بلفاست
دكتور ماكسميلان شتيرنبيرج، كامبريدج
دكتور بير والاش، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية
دكتور حايم ياكوبي، جامعة بن جوريون

الباحثون
دكتورة بريت بايلي، كامبريدج
دكتورة أنيتا باكشي، كامبريدج
نادير ا كاركابي - باتل، كامبريدج
ليفكوس كرياكو، كامبريدج
دكتورة ميلينا كومارو فا، كوينز بلفاست
رزان مخلوف، إكستر
دكتورة مارتينا ماكنايت، كوينز بلفاست

طلاب الدكتوراه
جوليا كارابيلي، كوينز بلفاست
مونيكا هالكورت، كوينز بلفاست
كونستانتن كاستريسيانكيس، كامبريدج
ليندا روتام، كوينز بلفاست
كيلسي شانكس، إكستر